

التبيان في تفسير القرآن

(71) فغفرت لهم فأنت العزيز الحكيم. ومن ذهب إلى أن قول الله " يا عيسى بن مريم أنت

قلت للناس " إخبار عما مضى وأن الله قال ذلك عندما رفعه إليه، قال: انما عنى عيسى ان تعذبهم بمقامهم على معصيتك فانهم عبادك وان تغفر لهم بتوبة تكون منهم، لان القوم كانوا في الدنيا لان عيسى لم يشك في الاخرة أنهم مشركون. وقد أنطقعت التوبة، وانما قال ذلك في الدنيا وجعل قول الله تعالى " هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم " جوابا للرسول حين سألهما ماذا أجبتهم " قالوا لاعلم لنا " فصدقهم الله في ذلك. ومثل ذلك قال عمرو ابن عبيد والجبائي والزجاج وكلهم شرط التوبة. وهذا الذي ذكره ترك للظاهر وزيادة شرط في طاهرها ليس عليه دليل. وقوله " ان الله لا يغفر ان يشرك به " (1) انما هو اخبار لامة نبينا بأن لا يغفر الشرك ولانعلم ان مثل ذلك أخبر به الامم الماضية فلا متعلق بذلك. ويمكن أن يكون الوجه في الآية مع تسليم ان كان عارفا بأن الله لا يغفر أن يشرك به وانه أراد بذلك تفويض الامر إلى مالكة وتسليمه إلى مدبره والتبري من أن يكون له شيء من أمر قومه، كما يقول الواحد منا اذا تبرء من تدبير أمر من الامور ويريد تفويضه إلى غيره: هذا الامر لامدخل لي فيه فان شئت أن تفعله وان شئت ان تتركه مع علمه ان أحدهما لا يكون منه. وقوله " فانك أنت العزيز الحكيم " معناه انك القادر الذي لا يغالب وأنت حكيم في جميع أفعالك فيما تفعله بعبادك ووقيل معناه " انك أنت العزيز " القدير الذي لا يفوتك مذنّب ولا يمتنع من سطوتك مجرم " الحكيم " فلا تضع العقاب والعفو الا موضعهما. ولو قال: الغفور الرحيم كان فيه معنى الدعاء لهم والتذكير برحمته، على أن العذاب والعفو قد يكونان غير صواب ولا حكمة فالاطلاق لا يدل على الحكمة والحسن. والوصف بالعزيز الحكيم يشتمل على العذاب والرحمة اذا كانا

(1) سورة النساء آية 47، 151.